البناء

السنة السادسة / الاثنين / 19 أيار 2014 / العدد 1488
Sixth year / Monday / 19 May 2014 / Issue No. 1488

اليوم 2185: نهاية مناورة جعجع ... (تتمة ص1)

السفير الروسي في بيروت ألكسندر زاسيبكين وحده كان متفائلاً بتوقعات الوصول إلى رئيس قبل نهاية المهلة الدستورية، فشغل بال الجميع بتوقعاته التي بقيت موضع شكّ بتجاوزها لغة التمنّي.

إذاً، قبل أسبوع من انتهاء ولاية رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان، ارتفعت وتيرة الاتصالات قبل ستة أيام من تاريخ 25 أيار الحالي، رغم أنها لم تفرز أي خرق لإنجاز الاستحقاق الرئاسي في موعده، فالمخاوف من الشغور الرئاسي كانت وراء كثافة المشاورات.

وشكلت العاصمة الفرنسية محور الحراك الرئاسي حيث جمعت الرئيس سعد الحريري والرئيس فؤاد السنيورة ورئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع. وأفاد المكتب الإعلامي للحريري، ان اللقاء تخلله غداء عمل، وتناول الأوضاع العامة في البلاد، وخصوصا موضوع الاستحقاق الرئاسي الداهم. وكانت وجهات النظر متطابقة على ضرورة إنجاز الاستحقاق الرئاسي في موعده الدستوري، ورفض الفراغ، والقيام بكلّ الجهود والاتصالات اللازمة والممكنة لمنع حدوث الفراغ، مع التشديد على وجوب حضور جميع النواب للمشاركة في جلسات انتخاب رئيس الجمهورية».

مصادر «القوات»: لا متغيّر

وقالت مصادر قواتية لـ«البناء» إنّ أجواء لقاء الحريري – جعجع ايجابية، إلا أن لا متغيّر حتى الساعة إلا السعي لتحريك الوضع لانتخاب رئيس بأسرع وقت ممكن، وما هي السبل الممكنة لذلك، لكن مصادر قواتية أخرى أكدت «أنّ الدكتور جعجع سيعلن عن الهدف من الجولة الخارجية بعد عودته، نافية سحب ترشيحه، مؤكدة في الوقت عينه أن جلسة الخميس الانتخابية ستكون كسابقاتها.

مصادر «المستقبل»: مظلة إقليمية ودولية

في المقابل، شـدّدت مصادر تيار المستقبل لـ«البناء» على انّ الاجتماع الذي جمع الحريري والسنيورة وجعجع تناول ضرورة إجراء الانتخابات في موعدها الدستوري والعمل على منع حدوث الفراغ، وحاولت المصادر الربط بين زيارة النائب بطرس حرب باريس ولقائه الحريري، وزيارة الدكتور جعجع ملمّحاً إلى إمكانية انسحاب الأخير بعد عودته.

وشددت المصادر على أنّ الاستحقاق الرئاسي يحتاج إلى مظلة إقليمية ودولية والجميع ينتظر المحادثات الايرانية ـ الاميركية والايرانية ـ السعودية ليبنى على الشيء مقتضاه.

ولفتت إلى أنّ الأمور لا تزال على حالها فأيّ اتفاق بين التيار الوطني الحر وتيار المستقبل في شأن الانتخابات الرئاسية لم ينضج بعد، على عكس التسريبات، فهناك خلاف جوهري حول سلاح حزب الله، وهل العماد ميشال عون قادر على الالتزام بذلك والتخلي عن ورقة التفاهم مع حزب الله. وأعلنت أن تيار المستقبل سيجتمع يوم غد الثلاثاء وسيصدر الموقف الرسمي عن مصير جلسة الخميس بعد الاجتماع.

جنبلاط في باريس... قهوجي أو عبيد

وبالتزامن مع زيارة جعجع والسنيورة حط رئيس جبهة النضال الوطني النائب وليد جنبلاط والوزير وائل أبو فاعور في باريس أيضاً، للقاء الحريري والبحث في الاستحقاق الرئاسي، ولإقناع الحريري بضرورة السير إما بالوزير السابق جان عبيد أو بقائد الجيش العماد جان قهوجي، الذي يعدّ الورقة المستورة عند الوسطيين.

وعلمت «البناء» أنّ وصول العماد قهوجي إلى سدة الرئاسة يحفظ الحالة السياسية الناشئة للرئيس ميشال سليمان (أي قوة مسيحية ناشئة بين القوات والتيار الوطني الحر) وهذا ما يراهن عليه النائب جنبلاط.

زاسيبكين متفائل

لم تنته لقاءات باريس أمس بل ستبقى العاصمة الفرنسية محور المفاوضات الرئاسية التي ستظلّ مفتوحة على كلّ الاحتمالات، في وقت أعرب السفير الروسي في لبنان ألكسندر زاسيبكين عن اعتقاده «أنه سيكون للبنان رئيس للجمهورية ضمن المهلة المحددة».

... و8 آذار تستبعد

في مقابل ذلك، استبعد مصدر مطلع في 8 آذار لـ«البناء» ذلك، لأنّ الاطار الوفاقي الذي سينتج رئيساً لم ينضج بعد، فلا تقديرات ملموسة عن أن الحراك الخارجي الذي ينتظره اللبنانيون سيأتي برئيس قبل 25 أيار.

وشـدّد المصدر على أنّ الجميع في لبنان بدأ يستشعر حراجة الموقف، مشيراً إلى زيارة الدكتور جعجع إلى السعودية وباريس تصبّ في خانة معرفة ماذا سيجري بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الاسلامية الايرانية في الشأن اللبناني.

كما استبعد المصدر حضور نواب التيار الوطني الحر وحزب الله الجلسة الانتخابية المقبلة، وأوضح لـ«البناء» أن لا مؤشرات إيجابية حتى الآن تشجع على هذا الحضور لناحية حصول تغيير في الترشيحات يؤدي إلى اتخاذ قرار بالحضور، وتساءل المصدر: ماذا سيحصل إذا اكتمل النصاب من دون توافق مسبق على شخص الرئيس، فإما تكرار ما جرى في جلسة الانتخاب الأولى من توزيع للأصوات بين اللجوء إلى الأوراق البيضاء من قبل نواب 8 آذار ولجوء قوى 14 آذار إلى صبّ أصواتها لمصلحة جعجع، ونواب اللقاء الديمقراطي لمصلحة النائب هنري حلو، وإما أن يكون هناك اتفاق تحت الطاولة لتمرير مرشح تحدٍّ أو مرشح لا يحظى بتأييد أكثرية الكتل النيابية.

الراعي في السراي

وعلى خط بكركي أكد البطريرك الماروني الكاردينال ماربشاره بطرس الراعي الذي يزور السراي اليوم للقاء الرئيس تمام سلام أن لا أحد أعلى من الرئاسة، ولا أحد يحلّ محلها وأمام استحقاقها تسقط كلّ الاعتبارات الشخصية والفئوية والحزبية والسياسية».

سلام إلى الرياض

ويغادر الرئيس سلام على رأس وفد وزاري إلى الرياض اليوم في زيارة رسمية يلتقي خلالها عدداً من المسؤولين، بينهم العاهل السعودي الملك عبدالله، على أن يلتقي أيضاً الرئيس سعد الحريري وذلك في العشاء الرسمي الذي سيُقام على شرفه.

وعشية الزيارة عبّر السفير السعودي في لبنان علي عواض عسيري عن أهميتها قائلاً: «إننا مرتاحون للتوفيق الذي يحالف الحكومة».

بري: البوادر غير واضحة

في غضون ذلك، نقل زوار الرئيس بري عنه قوله لـ«البناء» إنّ بوادر انتخاب رئيس للجمهورية ليست واضحة، وأنّ الجميع بانتظار ربع الساعة الأخير من حصيلة الاتصالات والمشاورات. وأشار زوار الرئيس بري إلى أنّ جلسة 22 آيار لن تكون الأخيرة، فحضور الكتل السياسية الأساسية يتطلب التوافق على الرئيس.

ووفق معطيات عين التينة فليس لدى الرئيس بري حتى مساء أمس أي معطيات تفيد بحصول شيء جديد على صعيد الاتصالات القائمة في بيروت وباريس. وأشار بري أمام زواره إلى أنه إذا حصلت معطيات جديدة فهو على استعداد للدعوة إلى جلسة انتخاب قبل يوم الخميس المقبل. وأوضح أيضاً أنه إذا لم يتمّ انتخاب رئيس في جلسة 22 الجاري، فهو على استعداد للدعوة إلى جلسة أخرى في أي وقت بما في ذلك يوم السبت أو الأحد لكن حتى الآن لا شيء جديداً.

الرابية: الربع الساعة الأخير

وعلى خط الرابية، أكد مصدر بارز في التيار الوطني الحر لـ«البناء» أن حضور جلسة 22 أيار ينتظر كلمة السر التي ستأتي في اللحظة الأخيرة، والتي تضمن انتخابات رئاسية تحفظ مصالح الرئيس سعد الحريري وحزب الله والقوى الأساسية، مشيرة إلى انّ اتصالات الربع ساعة الأخير ستحدّد مصير الانتخابات الرئاسية كما حصل في البيان الوزاري (الاتصالات بين تيار المستقبل وفريق 14 آذار). وتوقع المصدر أن يعتكف نواب القوات عن حضور جلسة انتخاب الرئيس بعد أن يلجأ الرئيس الحريري إلى اقتلاع شوكة جعجع من خاصرته.

المرده: لا خرق جدياً بعد

واعتبر مصدر في تيار المرده لـ«البناء» أنّ أيّ خرق جدي لم يحصل حتى الساعة، فالاصطفافات لا تزال على حالها. وشكك المصدر في تأمين نصاب لجلسة الخميس، وفي إجراء الانتخابات الرئاسية قبل 25 أيار.

مصدر وزاري: لا جديد

كذلك أكد مصدر وزاري أن الاتصالات واللقاءات التي تجرى في لبنان أو في باريس لم تحمل أي معطيات توحي بأن الاستحقاق الرئاسي سيطرأ عليه أي جديد في المدى المنظور، إذ إن التفاهم على اسم الرئيس المقبل ما زال بعيد المنال، معتبراً أن التعويل على التفاهم الإيراني ـ السعودي في هذا الخصوص مبالغ فيه لأنه لو افترضنا أن الحياة قد عادت إلى مجاريها بين البلدين إلا أن المشاكل الموجودة في المنطقة بفعل التوتر القائم بينهما لن تُحل بـ«كبسة زر»، مشدداً على أن ملفات كثيرة داخلياً وإقليمياً ودولياً لا تجعلنا نتفاءل بإمكان إجراء الانتخابات قبل 25 الشهر الجاري، معرباً عن اعتقاده أننا سنكون أمام فراغ لشهرين أو أكثر. ومتوقعاً أن يكون المشهد السياسي بعد خروج سليمان من بعبدا أشبه بالمهلة التي مررنا بها خلال استقالة حكومة الرئيس نجيب ميقاتي وتحولها إلى حكومة تصريف أعمال. ولم تتخذ أي قرارات سياسية كبيرة. وقد تأثر التشريع كثيراً خلال تلك الفترة، مشيراً بهذا الخصوص إلى قرار سيتخذه النواب المسيحيون بمقاطعة الجلسات التشريعية طيلة خلو سدة الرئاسة، وهو ما يعني أن المجلس سيكون شبه مشلول وأن مصير سلسلة الرتب والرواتب سيكون مجهولاً.

سليمان يترأس آخر جلسة في عهده لمجلس الوزراء

في سياق آخر، يتوقع أن يعقد مجلس الوزراء جلسته الأخيرة يوم بعد غد الأربعاء في عهد الرئيس ميشال سليمان في قصر بعبدا لمناقشة جدول الأعمال، وقد رجّحت مصادر وزارية أن تقر الجلسة دفعة جديدة من التعيينات، لكنها لم تؤكد حتى مساء أمس إمكان تمرير تعيينات المجلس العسكري بسبب استمرار الخلافات حولها، إذ هناك من يرفض حصول تعيينات جزئية في المجلس.

وكان سليمان قد ترأس أمس اجتماع المجلس الأعلى للدفاع حيث جرى البحث في موضوع الخطط الأمنية، واطلع من قادة الأجهزة على مسارها في طرابلس والبقاع.

وكان سليمان رعى أول من أمس السبت مصالحة بريح في الشوف بحضور البطريرك بشارة الراعي والنائب وليد جنبلاط، جدد سليمان وجنبلاط التمسك بـ«الخيارات الوسطية»، لكن الملاحظ أن سليمان أعاد تمسّكه بما يُسمّى «إعلان بعبدا وتحييد لبنان عن النزاعات الإقليمية». وبعد بريح زار سليمان والراعي النائب جنبلاط في قصر المختارة وسط وفود شعبية شاركت في الاستقبال.

مصادر فرنسية ... (تتمة ص1)

وتقول المعلومات أيضاً إنّ وزير الخارجية السعودي التقى نظيره الفرنسي لوران فابيوس، كما التقى شخصيات فرنسية أخرى، ولم يلتقِ بالرئيس فرانسوا هولاند، ووفق مصادر في باريس يأتي الفيصل لبحث الموضوع النووي الإيراني، فضلاً عن بحث الموضوع السوري والموضوع اللبناني مع حلفائه الفرنسيين، خصوصاً أنّ الطرفين قلقان من احتمال وصول إيران والولايات المتحدة إلى اتفاق حول الملف النووي الإيراني، كما أن الطرفين اللذين يشكلان رأس حربة عربية ودولية في الهجوم على سورية منزعجان من الانتخابات الرئاسية السورية المقبلة التي ستحمل الرئيس بشار الأسد إلى دورة حكم جديدة مدتها سبع سنوات.

وفي عودة إلى الموضوع اللبناني تشير المعلومات في باريس إلى أنّ دعوة النواب إلى التوجه للبرلمان لانتخاب رئيس جديد لا يصرف جدياً في أية عملية انتخاب جدية وفيها طابع تسوية لرئيس جمهورية جديد في لبنان.

في هذا السياق بدأت أسماء عدة تمرّر في العاصمة الفرنسية مع ملاحظة غياب اسم قائد الجيش اللبناني عن التسريبات، وكأنّ لسان حال الفرنسي يقول فلتحرق كلّ هذه الشخصيات كأسماء توافقية، حتى يحين الوقت اللازم والجدي لطرح قائد المؤسسة العسكرية اسماً يحظى بالتوافق ويعزز من فرص الاستقرار في البلاد.

مسيرات تندّد باحتجاز المنامة جثمان العبّار

خرجت في مختلف مناطق البحرين مسيرات حاشدة وفاء للشهيدين علي فيصل العكراوي وعبد العزيز العبّار الذي ما زال جثمانه محتجزاً لدى السلطات لأكثر من شهر تقريباً.

يأتي ذلك وسط استعدادات لتشييع الشهيد العكراوي أمس. ونظمت الجماهير الغاضبة وقفة تضامنية أمام منزل عائلة الشهيد العكراوي في جزيرة سترة، مطالبين بالقصاص لدماء الشهداء، وردد المحتجون شعارات مندّدة بجرائم النظام.

كما شهدت مناطق أخرى مسيرات تضامنيّة مع الشهيد عبد العزيز العبّار، حيث نددت الحشود بجرائم الأجهزة الأمنية التي ذهب ضحيتها ما يقارب 160 شهيداً، فيما طالبت 16 منظمة حقوقية بفتح تحقيق بمقتل العبار.

في المقابل، قمع النظام البحريني المسيرات بقنابل الغاز ورصاص الشوزن، إلا أنه على رغم ذلك ما زال مشهد التظاهرات الحاشدة المناهضة للنظام البحريني لم يفارق الشوارع... الليل عند المشاركين كما النهار، عزم لن يلين، هي مقولة أكدها المتظاهرون منذ ثلاثة أعوام، لكن اليوم المسيرات الغاضبة جاءت على وقع خبر استشهاد الشاب علي فيصل العكراوي الذي قضى بانفجار غامض في سترة حمّلت المعارضة النظام مسؤوليته.

ويعتبر جثمان الشهيد العبّار الذي لا يزال محتجزاً لدى النظام منذ شهر، دافعاً لمواصلة المسيرات الشعبية المنددة بهذا الانتهاك الصارخ، حيث تشدد المطالب على ضرورة الإفراج عن جثمانه وتدعو إلى القصاص من قتلة المواطنين.

وطوّر النظام البحريني أسلوبه في تفريق المحتجين، بالقنابل الغازية السامة تارة وبرصاص الشوزن تارة أخرى وباستخدام المدرعات لدهس المتظاهرين، فضلاً عن اقتحام عناصره لبعض القرى لشن حملة مداهمات تطاول عشرات المنازل.

وأطلق الأمين العام لجمعية الوفاق الشيخ علي سلمان، صرخة مدوّية إلى العالم حول حجم القمع الذي يتعرض له الشعب البحريني، ولفت إلى أن الغازات السامة تتكفل بقتل الأجنّة.

ويعتقد مراقبون أن المنامة تحتل المرتبة الأولى عالمياً في استخدام واستهلاك الغازات السامة ضد مواطنيها، وقد أودت بحياة عشرات المواطنين آخرهم الشهيد جواد الحاوي.

ودعت 16 منظمة حقوقية، المقرر الخاص المعني بحالات الإعدام التعسفي كريستوف هينز بالضغط على حكومة البحرين لفتح تحقيق مستقل بحادثة مقتل الشاب عبدالعزيز العبّار.

واعتبرت المنظمات في شكوى رفعتها إلى المقرر الأممي أن الاستخدام المفرط للقوة من جانب ضباط الشرطة مخالف للمعايير القانونية الدولية، مطالبة المقرر هينز بزيارة المنامة للنظر بتورط السلطة بقتل ما يزيد على 120 مواطناً خارج إطار القانون وتحت وطأة التعذيب.

سورية... ساحة ... (تتمة ص1)

إلى هذه المفارقة، ثمة مفارقات أخرى. فالولايات المتحدة تنشط ضد سورية ورئيسها، لكنها ليست ضد الجيش السوري. لماذا؟ لأن الجيش السوري قوة صلبة ضد الإرهاب ولا يجوز، تالياً، تمكين التنظيمات الإرهابية من التغلّب عليه. أكثر من ذلك، لا يجوز تمكين أطراف «المعارضة المعتدلة» من التغلّب عليه. لماذا؟ لأن واشنطن تأمل بأن يكون الجيش هو قوام السلطة اذا ما قيض لها إزاحة الرئيس بشار الأسد. حتى لو تمكّن الأسد من الفوز بولاية رئاسية جديدة والصمود في موقعه، وهذا أمر مرجّح، فإن واشنطن ليست في وارد تفكيك الجيش السوري (وربما ليس في مقدورها) كما سبق لها أن فعلت بالجيش العراقي لأن من شأن ذلك ترك البلاد مسرحاً للفوضى وقاعدة حشد وانطلاق للتنظيمات الإرهابية. هذه الأمثولة استخلصتها الولايات المتحدة من تجربتها الفاشلة والمكلفة في العراق.

في المقابل، تنشط التنظيمات الإرهابية ضد سورية والجيش السوري، وبعضها ضد الولايات المتحدة، لكنها لا تنشط ضد «إسرائيل» في الوقت الحاضر. لماذا؟ لأنها تحتاج إلى «إسرائيل» لوجستياً، ولا سيما في جبهة حوران الجنوبية المحاذية للجولان السوري المحتل، حيث تساند «إسرائيل» التنظيمات الإرهابية بالدعم المدفعي ضد مواقع الجيش السوري، وتستقبل المئات من جرحاها وتتولى تطبيبهم في مستشفيات طبريا وصفد ونهاريا؟

في ظل هذا الوضع الإقليمي والدولي المضطرب والمعقّد، يقوم اللاعبون الكبار والصغار ببعض الألعاب والألاعيب اللافتة. فالولايات المتحدة تثابر على الإيحاء لقوى «المعارضة المعتدلة» بأنها لن تسمح للرئيس الأسد بالبقاء، وتمدّها بالمال وبـ«أسلحة غير قاتلة»، لكنها ترفض تزويدها صواريخ مضادة للطائرات لأنها لا تريد إعاقة سلاح الجو السوري في حربه ضد التنظيمات الإرهابية.

«إسرائيل» تثابر على الإيحاء من خلال تصريحات مسؤوليها الكبار وقدامى قادتها العسكريين والاستخباراتيين أنها تفكر بالتدخل بصورة فاعلة في الحرب السورية لمنع الجيش السوري من تسجيل نصر حاسم على أعدائه الميدانيين لئلا يصبّ ذلك في مصلحة محور المقاومة والممانعة.

فرنسا تحاول تفعيل إجراءات تطويق سورية سياسياً وأمنياً باقتراح مشروعيّ قرارين في مجلس الأمن، يدعو الأول إلى إحالة الرئيس الأسد على المحكمة الجنائية الدولية فيما يدعو الثاني إلى توفير ممرات للمساعدات الإنسانية داخل سورية في ظل الفصل السابع ما يمكّن الدول الكبرى الأطلسية من استعمال القوة ضد دمشق إذا حالت سلطاتها وقواتها دون وصول المساعدات إلى المتضررين والنازحين.

روسيا، ومثلها إيران، تدعمان سورية في حربها على الإرهاب كما تؤيدان إجراء انتخابات رئاسية في مطلع الشهر المقبل. نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف اعتبر الانتخابات وسيلة للمحافظة على وحدة المؤسسات الرسمية السورية.

في غمرة هذه الصراعات، يترسمل الأسد على مكسب تحرير حمص، التي كانت تُطلق عليها فصائل المعارضة لقب «عاصمة الثورة»، ويعتبره مؤشراً لفشل الحل السياسي للأزمة وفق مخطط الحلف الأطلسي. منه ينطلق لتحقيق مكسبين إضافيين: الأول، إزاحة مقاتلي «جبهة النصرة» من الأحياء الشمالية الشرقية في حلب، وطرد تنظيم «داعش» من الشطر الشمالي الشرقي من دير الزور. الثاني، الترسمل على هذين المكسبين المحتملين من اجل تأمين إجراء الانتخابات الرئاسية في كل مراكز المحافظات السورية ما عدا الرقة حيث يبدو «داعش» قادراً على الاحتفاظ بها لفترة غير وجيزة.

مجموعة «أصدقاء سورية» تعارض بشدة إجراء الانتخابات الرئاسية، وتعتبرها غير شرعية، وتدعو «المجتمع الدولي كافة إلى رفضها»، كما تتعهد «بتغيير الأوضاع على الأرض» كما «بزيادة الدعم للمعارضة المعتدلة». في هذا السياق، قال الرئيس أوباما لزعيم «الائتلاف الوطني لقوى المعارضة السورية» أحمد الجربا إن الحل السياسي هو المخرج من الأزمة. لكنه أكد له، كما مساعدوه، على متابعة دعم المعارضة السورية بـ«أسلحة غير قاتلة» ما يعني استمرار تمكينها من متابعة الحرب.

إلى ذلك، تسعى «إسرائيل»، مدعومةً ببعض الخبراء في مجلس الأمن القومي الأميركي، إلى الترويج من جديد لفكرة إقامة مناطق حظر جوي في سورية. يقول هؤلاء: إذا كان تزويد المعارضة بالصواريخ المضادة للطائرات والدبابات ينطوي على خطورة تسربها إلى أيد غير صديقة، فإن البديل الآمن هو في أن تتولى الولايات المتحدة أو الحلف الأطلسي مهمة إقامة مناطق حظر جوي في سورية لمنعها من استخدام طيرانها الحربي. الحظر يؤدي، في رأيها، إلى إلغاء تفوقها على قوات المعارضة التي لا تمتلك طائرات ولا صواريخ مضادة لها.

هل توافق واشنطن على اعتماد هذا البديل؟

ثمة مؤشران إلى ما يمكن أن يكون الجواب عن السؤال:

الأول، ما ستنتهي إليه جولة المفاوضات بين مجموعة 5+1 وإيران في الشهر المقبل. ذلك أن عدم التوصل إلى تسوية «نووية» في هذا المجال قد يدفع واشنطن إلى الموافقة على إقامة مناطق حظر جوي بغية ممارسة مزيد من الضغط على إيران من خلال الضغط على حليفتها سورية.

الثاني، التباطؤ في تعيين وسيط دولي بديل من الأخضر الإبراهيمي المستقيل بقصد استغلال الوقت الضائع للضغط، بشتى الوسائل المتاحة، على كل من إيران وسورية.

في هذه الأثناء، تبقى سورية ساحة لحروب ثلاث متزامنة وضارية وليس، بعد، من ضوء يلوح في نهايات أنفاقها المظلمة.

د. عصام نعمان

محطة جديدة ... (تتمة ص1)

لم تكن تلك الحركات محصورة بحزب واحد، أو طائفة أو مذهب أو منطقة، بل كانت عابرة للطوائف والانتماءات على نحو أحسّ معه لبنانيون كُثر أن بلدهم سيشفى من مرض الطائفية العضال، وأنه إذا سقطت العصبيات في الشارع فهي حتماً ساقطة في النظام والحكم والدولة.

كان «الطائفيون»، الظاهرون منهم والمستترون، أكثر دهاء من الشباب الحالم بلبنان آخر، لبنان الوطن والرسالة والمنارة المشعّة من حوله... فنجح هؤلاء في استدراج قوى الحراك الشعبي إلى العسكرة، التي سرعان ما ترتدي لبوس الطائفية والمذهبية وتقضي على براعم المناخ الوحدوي الوطني الوليد.

وبالطبع ما كان ممكناً لهذا الاستدراج أن ينجح لولا تداخل الوطني بالإقليمي، واللبناني بالفلسطيني بالعربي، وهو تداخل موضوعي يصعب التملّص منه، لكنه لم يكن ممكناً أن ينجح أيضاً لولا استعجال البعض لحصاد لم تكن ثماره قد نضجت تماماً، فارتفعت شعارات متطرفة من هنا، ومزايدة من هناك، وحالت انتصارات ميدانية محدودة دون رؤية الأبعاد الجيواستراتيجية الأوسع والأكبر والأخطر للمعركة في لبنان.

وهكذا تمّ وأد تلك المحطة الرائعة من حياة لبنان وحركته الشعبية، ووجدنا على طرفي خنادق الحرب الأهلية فقراء يقاتلون فقراء، فيما قادة هنا وهناك يجمعون الثروات ويبنون القصور من دون أن يسمحوا لأحد أن يسألهم ذلك السؤال الذي بات عمره من عمر الاستقلال: من أين لك هذا؟

المحطة الثانية كانت خلال الحرب نفسها، حيث لم تستسلم القوى الحيّة في المجتمع المدني اللبناني، والحركة النقابية، وذوو الأيدي النظيفة، لمنطق الحرب الأهلية، ولغتها، واصطفافاتها، ومتاريسها، بل بدأت تتجمع جماعات صغيرة متناثرة هنا وهناك، وتطلق مبادرات شجاعة وخلاقة، كمسيرات المعوقين المخترقة لخطوط التماس من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وكحملات التبرع بالدم من كل لبناني إلى كل لبناني، وكالندوات واللقاءات والتجمعات الثقافية التي اجتمعت فيها منتديات وحركات من كل لبنان، وكمتطوعي الجمعيات الأهلية وأبرزهم شباب الدفاع المدني الذين كانوا يسعفون مواطنين جرحى من أجل إسعاف وطن جريح، ويطفئون ناراً في مبنى محترق على طريق إطفاء نيران حرب تلتهم بلدهم.

تراكمت تلك المبادرات حتى وصلت إلى تلك المسيرة التاريخية في حياة لبنان في 9 تشرين الثاني / نوفمبر 1987، التي قادها الاتحاد العمالي العام وتيار السلم الأهلي ومناهضة التقسيم، والتي تلاقى فيها اللبنانيون من شطري العاصمة على «معبر» المتحف آنذاك، ليزيلوا بأظافرهم متاريس الرمل التي حاولت مع قوى الحرب أن تجعل من بيروت بيروتين، ومن لبنان «لبنانات».

ظنّ أهل السلم الأهلي ومناهضة التقسيم أن «اتفاق الطائف» بما هو إنهاء للحرب وتشديد على وحدة الوطن سيفتح الطريق واسعاً أمام برنامجهم السلمي التغييري الديمقراطي الذي لم يكن يطمح إلى وقف حرب دائرة بل إلى منع اندلاع حروب جديدة، وإلى تغيير جذري في ثقافة ونظام وعلاقات لا تستطيع إلا إعادة إنتاج الحروب.

طبعاً، انقض حلف «غامض» على هذه الانجازات، حلف إذا اختلف أطرافه دفع المواطن ثمناً غالياً، وإذا اتفقوا دفع ثمناً أغلى، على أحلام معشر السلم الأهلي والتغيير الديمقراطي، وأعيد إنتاج نظام الحروب الدائمة بأبشع أشكاله، وباتت الطائفية مذهبية، والمذهبية مناطقية، والمناطق قبائل وعشائر، فلم تعد تجد شعاراً يجتمع اللبنانيون حوله مهما كان جميلاً، ولا قيمة يلتفون حولها مهما كانت سامية، بل بات سهلاً على أصحاب المصالح تطييف أي مطلب محق أو مذهبته، بل وصل الخلاف إلى ما كنا نعتقده قدس أقداسنا، وهو المقاومة، خصوصاً أنها حرّرت الأرض وردعت العدوان ورفعت رأس اللبنانيين عالياً ومعهم كل أبناء أمتهم وأحرار العالم.

ومما لا شك فيه فقد أمسك هذا الحلف «الغامض» بخناق البلاد، ونهب ما تبقى من مواردها، وأنجب حيتان من الاحتكار العقاري والمصرفي والنفطي و«الخدمي» والإعلامي أخذت تعبث بحياة اللبنانيين وأبسط متطلبات عيشهم إلى درجة أنها (أي الحيتان) نجحت مثلاً، وبدقائق في تمرير، وبمادة وحيدة، قانوناً للإيجارات يشرّد أكثر من 150 ألف عائلة في الشارع بذريعة إنصاف مالكين قدامى لا أحد يجادل في ضرورة إنصافهم، ولكن ليس بظلم مئات الآلاف من المستأجرين القدامى وقد بلغ أصغرهم عمر سن التقاعد.

لكن الوعي الموروث من المحطتين السابقتين التي وأدت الحرب أولاهما، ووأد «السلم» ثانيتهما، شكّل تربة لمحطة ثالثة هي تلك التي يقودها اليوم معلمون وأساتذة جامعيون وموظفون وعسكريون وغيرهم، عبر هيئة التنسيق النقابية، فتحيي اعتصاماتهم وتظاهراتهم الضخمة أعرض الآمال بولادة لبنان الجديد، لا عبر إقرار المطالب العادلة الواردة في سلسلة الرتب والرواتب فحسب، بل أيضاً عبر ولادة علاقات جديدة بين اللبنانيين حيث الأقرب فيها إلى وطنه هو الأكثر خدمة لقضاياه، أياً تكن طائفته أو مذهبه أو منطقته أو انتماؤه.

في هذه المحطة التي يواكبها أيضاً عجز نيابي عن انتخاب رئيس يدرك دارسو التاريخ جيداً أن مرحلة من حياة الأوطان بكل رموزها وشعائرها تهوي، وأن مرحلة جديدة بقيادتها وبرامجها وخطابها تولد.

وكلما تأخر القيمون على أمور البلاد والعباد في تلبية مطالب الناس، والتجاوب مع نداءات جوعهم ووجعهم، كلما ترسّخ بنيان المرحلة الجديدة، وتجاوز خطر الابتلاع كما جرى في حالات سابقة.

لقد قلنا قبل عامين، «شكراً لهيئة التنسيق النقابية» لأننا كنا نشعر أن ما تقوم به هو أكثر من تحقيق مطالب بل إنقاذ وطن، وها نحن نكرّرها الآن آملين أن تحصّن شجاعتها وصلابتها بأداء متقدّم يستفيد من كل ثغرات التجارب الماضية... ويمنع أي محاولات لاختراقها أو إقامة حواجز بينها وبين عموم الناس، حاضنتها الأساسية ومصدر قوتها.

معن بشّور

الخارجية تمدّد ... (تتمة ص1)

وفي السياق، مددت لجنة الانتخابات الرئاسية في وزارة الخارجية السورية أمس التسجيل باللوائح الانتخابية بالسفارات السورية للمقيمين في الخارج حتى نهاية يوم 21 أيار، تلبية لطلب الكثير منهم، نظراً إلى عدم تمكنهم من تسجيل أسمائهم في اللوائح قبل نهاية 12 أيار.

يأتي ذلك في وقت أكد رئيس الوزراء وائل الحلقي أن الحكومة تستكمل الإجراءات كافة، لتأمين مستلزمات العملية الانتخابية داخل البلاد وخارجها، مؤكداً أن سورية تعيش حدثاً عظيماً وتنتظر يوماً مميزاً في تاريخها المعاصر يتمثل بتنفيذ الاستحقاق الدستوري بانتخاب رئيس للجمهورية.

ولفت الحلقي إلى أن «الشعب هو وحده القادر على اختيار من يمثله لقيادة سورية في المرحلة المقبلة، مشيراً إلى أن البلاد تعيش حالة ديمقراطية نابعة من تاريخ حضارة الشعب السوري، داعياً جميع السوريين للمشاركة في رسم مستقبل سورية المنشود».

وفي هذا الإطار، دعا رئيس مجلس الشعب محمد جهاد اللحام المواطنين بمختلف انتماءاتهم السياسية وأطيافهم الاجتماعية، للمشاركة في ممارسة حقهم وواجبهم في الانتخابات الرئاسية.

وأعلن أن «المجلس وجّه دعوات إلى 13 برلماناً من برلمانات الدول الصديقة لإرسال وفود وشخصيات مختصة بالعملية الانتخابية، لمواكبة الانتخابات ليروا بأم أعينهم كيف يقول الشعب السوري كلمته ويختار رئيسه، لافتاً إلى أن من يمتنع عن ممارسة دوره وحقه وواجبه الدستوري يستقيل من مهماته الوطنية ويتخلى عن واجباته.

إلى ذلك، دخل حي الوعر الحمصي على خط المفاوضات ليلتحق بأحياء حمص القديمة التي سلمها المسلحون للدولة بعد اتفاق تسوية قضى بإجلائهم إلى منطقة الدار الكبيرة في الريف الشمالي.

وأفيد أمس عن لقاء جمع وفداً من لجنة المصالحة الوطنية بوفد من مسلّحي الوعر في فندق السفير بحمص، للتباحث في تسوية لتحييد الحي عن الصراع على غرار تسوية الأحياء القديمة.

هذه التسوية التي بدأ الحديث عنها مع بدء تنفيذ انسحاب المسلحين من الأحياء القديمة قبل أسبوعين، وصلت مفاوضاتها إلى مراحل متقدمة، مع وجود بعض الصعوبات نتيجة لتمسك المسلحين بسلاحهم وإصرار الدولة على تسليمه كاملاً قبل خروجهم إلى مناطق الدار الكبيرة وتلبيسة.

ميدانياً، واصل الجيش السوري عملياته العسكرية في نوى بريف درعا وتمكن من قتل أعداد من المسلحين وتدمير تحصيناتهم، في حين تمكنت وحداته من بسط سيطرتها على بلدة أم العوسج في منطقة الصنمين في الريف الغربي بعد معارك شرسة مع المسلحين، استطاع الجيش من خلالها فتح طريق الصنمين – زمرين – تل الحارة.

واستهدف الجيش السوري تجمعات المسلحين في مناطق انخل وتسيل وسحم الجولان وعدوان وطريق بلدة اليادودة وغرب بلدة عتمان ومحيط قرية جدل في منطقة اللجاة، في حين واصل عمليات التمشيط في حي المنشية في درعا البلد، واستهدف مسلحين في غرب ضاحية اليرموك وغرب سجنة ومساكن سجنة.

ونفذ الجيش السوري عملية عسكرية استهدفت تجمعات المسلحين في مناطق تلبيسة والرستن والناصرية وحوش حجو والدوير الشمالي بريف حمص الشمالي، استطاع خلالها قتل أعداد من المسلحين وتدمير عدد من آلياتهم.

وفي ريف دمشق، واصل الجيش عملياته في مناطق جوبر ومحيط المليحة في الغوطة الشرقية، واستهدفت وحداته مسلحين في مناطق عين ترما وسقبا وحمورية ودير العصافير وزبدين وداريا وعدرا ومزارع عالية في دوما وخان الشيح وبقين والجبال المحيطة بالزبداني، فيما استهدفت وحدات أخرى مسلحين في مناطق جيرود والضمير.

أولوية أوكرانيا ... (تتمة ص1)

يقول التقرير إنّ الأوروبيين منشغلون جداً حالياً بموضوع أوكرانيا التي تقع على حدودهم الشرقية، ولا يوجد أحد الآن لا في الاتحاد الأوروبي ولا في موسكو يريد أن تندفع أحداث أوكرانيا باتجاه حرب أهلية، على رغم الاعتراف بأنّ الوضع هناك صعب جداً وأنه يسود داخل المحافل السياسية الأوروبية تقدير بأنّ أوروبا وأميركا أخطأتا في تقدير رد فعل بوتين حيال فتح الأزمة الأوكرانية. والاتجاه الآن هو للملمة الوضع إذا أمكن ذلك، ولو تحت الضغوط التكتيكية.

وينفي التقرير ما تتداوله محافل سياسية وإعلامية عالمية عن تراجع الاهتمام بسورية وإيران إلى مرتبة تالية، وذلك بسبب الاهتمام بالوضع في أوكرانيا. صحيح أن الأولوية هي لأوكرانيا، ولكن أيضاً لإيران وسورية.

ويشير التقرير إلى أنّ هناك امتعاضاً أوروبياً من أخطاء متتالية ترتكبها السياسة الأميركية تجاه الكثير من الملفات الساخنة في العالم، وخصوصاً في أوكرانيا. ولكن أوروبا قلقة جداً من التباعد الحاصل الآن بين موسكو وواشنطن، ويهمّها إيجاد حلّ يعيدهما إلى طاولة التفاوض، بخاصة أنّ مجال الصراع بينهما حالياً هو أوروبا.

ينظر التقرير بتفاؤل إلى حصول اتفاق نووي مع إيران في شهر تموز المقبل، ويرى مُعدّوه أن الأمور ذات الصلة بهذا الموضوع تعتبر حتى الآن جيدة على رغم المصاعب المثارة. وستكون لذلك نتائج إيجابية على مجمل ملفات المنطقة.

في الموضوع السعودي، يقول التقرير إن التغيير الداخلي في المملكة سواء على مستوى هندسة الحكم الداخلي هناك أو على مستوى انتهاج سياسات جديدة، قد بدأ، ولكنه لم يكتمل. وهو بالطبع سيُستكمل بعد الاتفاق النووي الإيراني، وهذا سيُعيد المملكة إلى لعب دور عقلاني في إدارة شؤون المنطقة، ثم ستعقب ذلك مصالحة بين «الملك الجديد» وبين الرئيس السوري.

المصالحة التي يتكلم عنها التقرير لن تحدث في عهد الملك عبدالله لأن الوقت ضيّق ولن يتسع لذلك، ولأنّ السعوديين يشخصنون خلافاتهم. وعلى هذا، فالمتوقع أن يتأخر مسار حلحلة الملفات العالقة حتى ما بعد تموز أو تشرين الأول المقبل كحدّ أدنى وهو موعد نضوج مسار التغيّرات السعودية. ومن جملة الملفات المؤجلة انتخاب رئيس جديد في لبنان، إلا في حال حصل اختراق ينتج حلاً موقتاً لهذا الملف، وهو أمر مستبعد، أقله من ضمن المعطيات الحالية.

يقول التقرير إنه سيتمّ رفع الصوت الأوروبي اعتراضاً على الانتخابات الرئاسية السورية، لكن حقيقة الأمر أن الموقف الأوروبي ضعيف تجاه الوضع السوري. ويتوقع التقرير أن تتمّ محاولات عرقلة للانتخابات السورية من طريق التوتير الأمني والعسكري، لكن أوروبا، وأيضاً أميركا، متأكدة من أنّ الدولة يمكنها أن تجري الانتخابات في معظم المناطق، وأنّ للرئيس الأسد مؤيدين كثراً. يضيف التقرير إن في النهاية سيتعامل الغرب مع مرحلة ما بعد انتخابات الرئاسة السورية.

ويرى التقرير أنّ الأشهر القليلة المقبلة ستكون حبلى بالاستحقاقات الدولية ولن تكون هادئة في سورية. لكن الملف الأكثر لفتاً للاهتمام الغربي الآن، وبخاصة لأوروبا، هو الإرهاب والمجاهدون الأجانب، خصوصاً الأوروبيين وحتى العرب منهم. هؤلاء سيحاولون توتير الأجواء قدر المستطاع، لكن الوضع الدولي لم يعد يسمح بالكثير من الدعم، والأوروبيون أصبحوا مقتنعين تماماً بأنه لا مجال لتغيير الواقع الميداني على الأرض. أوروبا منهمكة بأمور داخلية عدة، منها الانتخابات الأوروبية المقبلة، وتطور الأحداث في أوكرانيا. فلا أحد في أوروبا قطعاً يفكر في القيام بدعم أو أي عمل عسكري مباشر يغيّر المعادلات على الأرض في سورية.

يعتبر التقرير أن أوروبا ستبدأ في أيلول، أو بحدّ أقصى كانون الأول، حتى تقوم بتغيّرات كبرى في سياساتها، والعودة إلى التعامل مع الواقع الحقيقي على الأرض، والاعتراف مجدداً بالرئيس الأسد والحكومة السورية والتعامل المباشر معهما.

يفيد التقرير بأنّ الكثير من الدول الأوروبية جاهز لفتح علاقات مباشرة مع دمشق، مثل برلين وروما وبروكسيل، ويشير إلى وجود إرهاصات لأن تلتحق بهم فرنسا بعد تغيّرات محتملة داخل إدارة الاليزية ستحدث خلال هذا الصيف المقبل.

الغرب، وتحديداً أوروبا، مهتم أيضاً بموضوع النازحين السوريين والكارثة الإنسانية الناتجة منه. والأوروبيون سيلجأون في مرحلة لاحقة إلى طلب مساعدة الدولة السورية للمساهمة بحلّ هذا الملف، وذلك في مرحلة ما بعد الانتخابات الرئاسية وخلال وقت متأخر من هذا الصيف.

«لا يوجد أي حراك في الكواليس الدولية لإعادة إحياء جنيف السوري» كما يقول التقرير، ويضيف: «لكن هناك بعض التحضيرات لعقد جنيف 3، لكن لا أحد يعلم من سيجلس إلى الطاولة، بخاصة من جهة المعارضة، وما هي مواضيع البحث، علماً أن بعض العرب والغرب مهتمّ بالقيام بخطوات تكتيكية نحو المعارضة غير الإرهابية من أجل عدم إشعار الرئيس الأسد بالراحة».